

على أنه من المعروف في علم النفس أن المبالغة في محاولة الاتصاف بشيء تحمل دليلاً على الشعور بالنقص في هذا الشيء ، فالشخص الذي يبالغ في ادعاء الشجاعة إنما يدل على شعوره بنقص في الشجاعة ، وهو يجعل هذا الادعاء تعويضاً وتغطية لما يشعر به من نقص ، وكذلك في كل صفة يلجأ شخص ما إلى التكلف والمبالغة في محاولة إثباتها إنما يكون هذا دليلاً على شعوره بنقص في هذه الصفة ، وبالعكس حينما يكون الشخص واثقاً من صفة ما في نفسه فلن يكون في حاجة إلى تكلف أو مبالغة في ادعائها لنفسه ، بل كلما زاد شعوره بالثقة في وجود هذه الصفة لديه كان أقرب إلى محاولة نفيها عن نفسه ، أو التقليل من أهميتها عنده ، فيما يسمى بالتواضع ، ولذلك نلاحظ مثلاً أن الفقير يتحرج من الحديث عن الفقر ، ويحاول أن يتحدث عن الغنى ، ولو في صورة غنى النفس وقناعتها ، بينما الغنى حينما يزداد شعوره بالغنى يحاول عادة تجنب التحدث بالغنى ، بل يحاول التقليل من شأنه أو نفيه عن نفسه .

وكذلك كان شأن الخنساء ، شعرت أن موت صخر قوض دعائم مجدها ومجد أسرتها وخيب آمالها ، وأظلم الدنيا أمام عينيها ظلاماً لا نهاية له ، فهي تريد دموعاً تعبر عن هذا كله ، ولكنها لا تجد ، وتريد حزناً حقيقياً مستمراً على صخر ليكون أداة أو حجة أو ستاراً للتعبير عما في نفسها بصورة مقبولة في المجتمع ، ولكنها لم تجد ، فأخذت تلح وتتكلف في طلب البكاء ، وإذا ألقينا نظرة على هذه المطالع من قصائدها تبين لنا إلى أي مدى كان هذا الإلحاح ، فهي في قصيدة واحدة مثلاً تعاتب عيناها على عدم سكب الدموع ، وتكرر طلب البكاء منها ، فتقول :

يا عين مالك لا تبكين تسكابا إذا راب دهر ، وكان الدهر ربابا
فابكي أخاك لأيتام وأرملة وابكي أخاك إذا جاورت أجنابا^(١٧)
وابكي أخاك لخنيل كالقطا عصباً فقدن لما ثوى سيبا وأنهابا^(١٨)

وفي مطلع آخر :

يا عين جودي بدمع منك مسكوب كلؤلؤ جال في الأسماط مثقوب